اسم الدرس : تفسير سورة الماعون

تصنيف الدرس : خطبة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}(الانعام ١)، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا}(الكهف ١)، الحمد لله عدد كل شيء والحمد لله ملء كل شيء، والحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله على ما أحصى كتابه، وأصلي وأسلم على سيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم، جاهد في الله حق جهاده، ما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه، وما ترك شرًا إلا وحذرنا منه، فصلاةً وسلامًا دائمين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ} (ال عمران: ١٠٢)، أما بعد أحبتي في الله؛ مِن رحمة الله عز وجل بالخلق أنه لم يتركهم سدى، ولكن برحمته وفضله وكرمه وجوده أرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب ليخرجهم من الظلمات إلى النور، حتى يكونوا على بينة من أمرهم ليهلك من هلك عن بينة، قال الله عز وجل في كتابه الكريم وهو يخبرنا عن معاملته لبني إسرائيل قال سبحانه: {وقضينا في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلون علوًا كبيرًا} (الإسراء: ٤)

يخبرنا الله عز وجل أنه كان يعاقب بني إسرائيل وكان يربيهم، ويردهم مرة أخرى إلى الدين عن طريق أنه يقدر عليهم أقدارًا ويرسل عليهم من جنوده من يردهم مرة أخرى إلى الدين، فإذا جاء الإفساد الأول بعث عليهم عبادًا له –سبحانه وتعالى– حتى يعودوا وينيبوا مرة أخرى إلى ربهم، فإذا أفسدوا الإفساد الآخر –أيًا كان زمان هذا الإفساد– فيبعث عليهم مرة أخرى من يردهم، ثم قال الله عز وجل في ختام هذه الآيات: {عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا} (الإسراء: ٨)، أي وإن عدتم إلى الإفساد عدنا إلى الابتلاءات، وإن لم تتوبوا في الدنيا {عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا}(الاسراء: ٢).

إذًا من طبيعة المجتمعات أنها حين تُترك فترة طويلة بعيدًا عن الإنذار والبشارة، بعيدًا عن الابتلاءات تنحرف هذه المجتمعات بعيدًا عن طريق الله عز وجل، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كانت بني إسرائيل تسوسهم الأنبياء)[1] من كان يقدر السياسة الشرعية لإصلاح الدين والدنيا كان الأنبياء في بني إسرائيل، فإذا هلك نبي أو مات النبي الذي أرسله الله عز وجل ينحرف المجتمع بعيدًا عن الدين، فيرسل الله نبيًا آخر، إذًا كان الله يُصلح إفساد بني إسرائيل عن طريق الابتلاءات وعن طريق إرسال الرسل.

[1] (عن ابي هريرة:) ان بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء كلما مات نبي قام نبي وانه ليس بعدي نبي، قالوا: فما يكون بعدك؟ قال: امراء و يكثرون، قالوا: ما تامرنا يا رسول الله؟ قال: (اوفوا بيعة الأول فالأول وادوا اليهم الذي لهم فان الله سائلهم عن الذي لكم)
ابن حبان (ت ٣٥٤) صحيح ابن حبان ٤٥٥٥ اخرجه في صحيحه

وهذه الأمة أيضًا إذا تُركت فترة بعيدة عن النذارة والبشارة تنحرف عن كثير من قواعد هذا الدين، فيقدر الله عز وجل أقدارًا تعيدها مرة أخرى إلى الطريق المستقيم، قال الله عز وجل بعد أن بين كيف يعيد بني إسرائيل مرة أخرى قال: {عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا * إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين} (الإسراء: ٨-٩) أي أن الله عز وجل لن يرسل أنبياء كما كان يفعل مع بني إسرائيل، ولكن بين أيديكم كتاب الله فيه غُنية لكم إذا تمسكتم به فسوف تعودون إلى الحق، إذا انحرفتم عن الطريق المستقيم تعودون مرة أخرى كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله)[٢].

{إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم} (الاسراء ٩) يجعلنا نسير على الصراط المستقيم إذا انحرفنا عنه، نعود مرة أخرى إلى القرآن ونقرأ القرآن ونتدبر ما فيه، وإذا بنا نُفاجأ أننا نقرأ آيات من كتاب الله في المسجد ونخالفها خارج المسجد، هذه الازدواجية العجيبة التي يحذرنا منها القرآن، ويحذرنا منها النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من موضع، أن تقرأ آيات في كتاب الله ثم تخالفها {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم} (البقرة:٤٤)، كيف تقرأ في القرآن آيات وتخالفها خارج المسجد؟ هذه الازدواجية يرفضها القرآن.

ومعنا اليوم سورة من كتاب الله عز وجل تعالج هذه القضية، هي سورة قصيرة في عدد الآيات لكنها عظيمة فيما تحتويه من معان.

هذه السورة العظيمة اختلف فيها المفسرون هل نزلت في مكة أم في المدينة لأن هذه السورة وكأنها نصفين، شعر بعض المفسرين أن هذه السورة تنقسم إلى نصفين، واستغرب بعضهم كيف التأما؟! هل النصف الأول نزل في مكة والنصف الثاني نزل في المدينة؟ أم أن هناك حكمة عظيمة من ارتباط هذه الآيات؟ يقول الله عز وجل: {أرأيت الذي يكذب بالدين} (الماعون ١) هل رأيته من قبل؟ {أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين} (الماعون ١-٣) هنا انتهى النصف الأول من السورة، وبعدها يقول الله عز وجل: {فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراءون * ويمنعون الماعون} (الماعون ٤-٧).

يقول الله عز وجل في هذا الاستفهام: {أرأيت الذي يكذب بالدين} (الماعون ١) هل تخيلت أن هناك شخصًا يكذب بالدين؟ هل رأيته من قبل؟ ما هي علاماته؟ -واختار الله عز وجل لفظ {الدين} (الماعون ١) ولم يقل ((يوم القيامة))، {الدين} (الماعون ١) أي الخضوع. تخيل إنسانًا ينكر أنه سوف

[٢] رواه الحاكم في "المستدرك" (٣١٨) من طريق إِسْمَاعِيل بْن أَبِي أُوَيْسٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ الدِّيلِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: (... إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

يخضع ويحاسب على كل ما فعل، تخيل إنسانًا يستنكر أن كل أعماله تُكتب وأنه سوف يُحاسب عليها مرة أخرى، هل يُشترط –لمن يكذب بالدين– أن يقوم هذا الرجل ويقول –والعياذ بالله– أنا ربكم الأعلى؟! هل يشترط أن يسجد لصنم؟! لا بل هناك من أخلاقه ما يدل على أنه لا يفكر في يوم الدين، قد يصل إلى مرحلة التكذيب أو أقل من ذلك، ولكن هو لا يشغل باله بهذا اليوم، فيقول الله عز وجل إذا أردت أن تنظر إلى أعلى صور إنكار يوم القيامة فانظر إلى هذا المشهد، ما هو هذا المشهد يا رب؟ {أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدع اليتيم} (الماعون ١–٢) لقد اختار ذلك الرجل القاسي القلب الغليظ.. اختار اليتيم لأنه يعلم أنه لن يدافع عنه أحد، ويظن ذلك الرجل القاسي القلب أنه إذا فعل ذلك لن يُحاسب فذهب إلى اليتيم ودفعه دفعًا ولم يبال.

وانظر إلى ذلك التعبير القرآني يقول: {أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي...} (الماعون ١–٢) لم يقل: يدفع اليتيم، ولكن قال: {يدع اليتيم} (الماعون ٢)، ((الدع)) –أعزكم الله– هو دفع البهائم، عندما يقوم الإنسان بدفع الأغنام والبهائم هذا هو ((الدع))، هو يتعامل مع اليتيم وكأنه أقل منه، كأنه لا يساوي ولا يقارب مستواه أن يجلس بجواره فيدفعه دفعًا... انظر إلى هذا الاحتقار للناس، هذا الفعل يدل على أن هذا الرجل لا يفكر في يوم الدين، وكيف يكون مفكرًا في يوم الدين وهو يفعل هذا؟! إذًا يخبرنا الله عز وجل؛ أنه إذا غاب يوم الدين من حسابات الناس تتحول الحياة إلى غابة، يأكل القوي الضعيف لأنه لا يخاف شيئًا ولا يؤمن باليوم الآخر.

وهذا ما نراه في العالم الآن؛ قوى عظمى تسيطر على الاقتصاد، وتسيطر على السياسة، ويستضعفون المسلمين في كل مكان؛ يقتلون ويحرقون ويعذبون ويتشدقون بأشياء لا يطبقونها من حقوق للإنسان وغير ذلك، وهم أبعد ما يكون عن ذلك... لا يؤمنون باليوم الآخر إلا مجرد كلام يقولونه، إذا غاب اليوم الآخر من حسابات الناس تجد كل إنسان يحتاج إلى رقيب عليه – نعم لا بد من رقابة على الناس في وظائفهم وفي أعمالهم–، لكن حينما يغيب حس اليوم الآخر تجد الناس هذا يسرق، وهذا يرتشي، وهذا يقتل، وهذا يقطع الرحم، وهذا يضرب زوجته، وهذا لا يُعلم ابنه، وهذا الابن يعق أباه، كل إنسان يحتاج إلى رقابة شخصية حينما يغيب اليوم الآخر... هذه الرقابة الموجودة في قلوب الناس، واعظ الله في قلب كل مسلم يحييه ذكر الدار الآخرة، لذلك قال الله عز وجل: {لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة} (القيامة ١–٢) النفس تلوم حينما تتذكر اليوم الآخر، تتوقف النفس عن اللوم، لا تلوم نفسها أبدًا إذا نست اليوم الآخر، الإنسان يلوم نفسه، فأنت لديك في فطرتك الضمير في القلب شيء يجعلك تلوم نفسك، إذا أخذت حق هذا ولم يطلع عليك أحد وأنت تنام في الليل تلوم نفسك: لماذا فعلت هذا؟! أو إذا فعلت شهوة حرامًا تلوم نفسك، هذه النفس اللوامة فطرها الله عز وجل بداخلك لتكون

دليلًا على يوم الحساب، إذا كنت أنت تلوم نفسك الآن، فهناك من سيلومك غدًا وستُحاسب على كل فعل، الذين ينكرون اليوم الآخر يريدون أن يقتلوا هذه النفس اللوامة في الإنسان، لا يريدك أن تلوم نفسك، يريدك أن تنسى أن هناك حسابًا، تنسى أن هناك يوم آخر، تنسى أن هناك نارًا، تنسى أن هناك عذابًا ويتناسى الناس ذلك.

لما جاء الصحابي حنظلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشتكي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد ينسى في زحمة المباحات –وليس الحرام– وقال: "إذا انصرفنا عنك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الزوجات، وانشغلنا بالضيعات، ولاعبنا الأولاد، فنسينا كثيرًا"، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (يا حنظلة ساعة وساعة) [٣] أي لا بد من ساعة للدار الآخرة تجلس فيها تسمع عن الجنة والنار كأنها رأي عين، ثم بعد هذه الساعة انطلق إلى الدنيا، وافعل ما تشاء من المباحات لأنك قد تحصنت بذكر اليوم الآخر، فإذا لم تجلس في الساعة الأولى تسمع عن الدار الآخرة فسوف تفسد الساعة الثانية، سوف ترتكب المعاصي، لن يكون عندك مناعة تمنعك من الحرام في حياتك الدنيوية.

إذًا ذكر الدار الآخرة، واستحضار الجنة والنار من أهم ما يمنع الإنسان عن ارتكاب الحرام، الحرام يعبر أمام الإنسان الآن وأصبح سهلًا ميسرًا، من شهوات وأموال حرام ورشوةٍ وغير ذلك، أصبح الحرام سهلًا.

ما الذي يمنع الإنسان عن هذا الحرام؟ ما الذي يمنعك أن تظلم جارك وقد لا يشعر أحد بذلك ولن يستطيع جارك أن يدافع عن نفسه؟ ما الذي يمنعك أن تضرب اليتيم؟ ما الذي يمنعك أن تأكل الميراث؟ ما الذي يمنعك ويمنعك... ولا يطّلع أحد عليك؟

إذا اختفت الدار الآخرة وذِكْرها من قلب الإنسان –والعياذ بالله– كما قال ربنا: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ} (القيامة ١–٥) الإنسان عندما ينسى الدار الآخرة يفجر، يفعل ما يشاء –والعياذ بالله–، لا يبالي بحلال أو حرام، يفجر... {بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أمامه} (القيامة ٥)، لذلك قال الله عز وجل في السورة التي معنا –سورة الماعون– {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ

[٣] (عن حنظلة بن الربيع الكاتب الاسيدي) انه مر بابي بكر وهو يبكي فقال ما لك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة يا أبا بكر، نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقنا فلما راه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما لك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار و الجنة كانا راي عين، رجعنا عافسنا الأزواج و الضيعة ونسينا كثيرا، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم، وفي طرفكم، وعلى فرشكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ساعة وساعة
الالباني (ت ١٤٢٠) صحيح الترمذي ٢٥١٤، صحيح

الْيَتِيمَ} (الماعون ١-٢) وبلغ من قسوته أنه حتى لا يستطيع أن يطعم المسكين ولا حتى يستطيع أن يدل الناس على المسكين، فقال ربنا {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} (الماعون ٢-٣) غير قادر أن يقول للناس: أطعموا هذا المسكين، حتى ولو كان مجرد الحض بأن يقول للناس: هناك مسكين، لا نريد حتى منك مالًا، بل نريد أن تدل الناس على المسكين؛ لكن حتى هذه لا يفعلها! لماذا؟ ولماذا سيدل الناس على المسكين؟! هو لا ينتظر أجرًا أخرويًا، لقد نسي الدار الآخرة تمامًا، فلماذا سيفعل الخير؟ ولماذا يُحسن إلى الناس إذا كان لا يؤمن بالدار الآخرة؟!

قد يتساءل البعض هناك من الكفار والمشركين الذين لا يؤمنون بالدار الآخرة ويفعلون بعض هذه الأشياء.. فكيف يفعلون هذا؟ كيف يحسنون إلى بعض الفقراء، كيف يفعلون هذا وهم لا يؤمنون بالدار الآخرة؟

أقول لك أولًا: هذا من دلالات الفطرة، أن الله عز وجل فطر الناس -كل الناس- على احترام هذه الصفات، على احترام الصدق والإحسان إلى الناس، هذه الفطرة لا تزال تنتكس إذا ابتعدت عن القرآن، الإنسان عندما يبتعد عن الوحي تنتكس الفطرة -والعياذ بالله- فيتحول ما كان يراه حسنًا إلى سيئ.

ثانيًا: هؤلاء يفعلون ذلك لأجر دنيوي، لكي يشيد الناس بأفعالهم، أو لأن هذه الأخلاق تنظم الدنيا لديهم... فإذا لم يفعل هذه الأخلاق فسدت الدنيا عندهم، هو يفعل ذلك لأجر دنيوي أو من بقايا الفطرة حتى إذا كان لا ينتظر أجرًا، من بقايا الفطرة التي فطر الله عز وجل الناس عليها.

وهذا دليلٌ على أن الله عز وجل خلق الناس وأنزل إليهم الكتب... فإذا قرأوا القرآن؛ وجدوا أن القرآن يدل على نفس أخلاق الفطرة فعلموا أنه من عند الله عز وجل.

فيقول الله عز وجل: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ} (الماعون ١-٣) {يَحُضُّ} (الماعون ٣) أي يدل الناس ويحرض الناس {على طعام المسكين} (الماعون ٣)، ثم يقول الله عز وجل في آية عجيبة: {فَوَيْلٌ} (الماعون ٤) لم يقل: فويل لهم، ولم يقل: فويل للذي لا يطعم المسكين، ولم يقل: فويل للذي يكذب بالدين، ولكن قال: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} (الماعون ٤) الله أكبر! هل يعقل أن يكون الذي يدفع اليتيم والذي لا يحض على طعام المسكين أن يكون من المصلين؟! {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} (الماعون ٤) هل هذا معقول؟ إنسان يدخل للمسجد ويصلي، ثم يخرج من المسجد تتغير أخلاقه ويتعامل بالحرام ويظلم الناس، هل هذا معقول؟! إنسان دخل المسجد واستمع إلى آيات

الله من وعيد ومن تذكير بالجنة والنار، من تذكير بقدرة الله على العباد، من ذكر لحقوق الناس، ثم يخرج ولا يبالي بحقوق الناس!

انظر إلى كلمة {يَدُعُّ الْيَتِيمَ} (الماعون ٢) ... هو لا يبالي بأي حق من حقوق الناس! هل هذا معقول؟! إنسان يصلي ويفعل مثل هذا؟!

يقول الله عز وجل: {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} (الماعون ٤-٥)، نعم؛ فهو لا يبالي بصلاته، لم يبالِ بحق الله فلم يبالِ بحقوق الناس، لقد صلى الصلاة ثم سهى عن معانيها، لم يتذكر ما قرأ، حدث عنده ازدواج في الشخصية، جزء من الدين يطبق في المسجد، وخارج المسجد لا يوجد دين، هذا ما أقوله الآن هو آفة العصر.

هذه هي العلمانية؛ فصل الدين عن الحياة... من حقك في المسجد أن تفعل ما تشاء... اقرأ عن آيات الربا ما تشاء في المسجد، لكن إذا خرجت إلى خارج المسجد شيء طبيعي أن تتعامل بالربا!

اقرأ ما تشاء من آيات الأخلاق، فإذا خرجت خارج المسجد افعل ما تشاء مع الناس! الذي يحكمك في المعاملات المالية مع الناس هو المكسب والخسارة وليس الحلال والحرام! الذي يحكمك في معاملاتك مع أهلك ومع جيرانك ومع الناس أن القوي هو الذي يكسب، من معه القوة هو الذي يُسيطر، من له معارف، من له مصالح هو الذي ينهيها! ثم داخل المسجد اقرأ ما تشاء... أصبح عندنا ازدواج في الشخصية!

نقرأ آيات في المسجد عن معاملات اجتماعية، عن آيات الحجاب، عن آيات معاملات اقتصادية، عن معاملات سياسية، آيات متداخلة... نقرأ في سورة البقرة، آيات الصيام تتداخل مع المعاملات المالية، نقرأ آيات الحج تتداخل مع القتال والجهاد، نقرأ آيات الصلاة متداخلة مع آيات الطلاق، الله عز وجل جعل هذه الآيات متداخلة، فعندما تقرأ سورة البقرة وخاصةً الجزء الثاني من سورة البقرة تفاجأ! كيف هذا التداخل العجيب؟ لأن الدين في الأصل متداخل، قال الله عز وجل في نفس السورة {ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} (البقرة ٢٠٨) أي ادخلوا في كل الإسلام بجميع شرائعه، لا تؤمنوا ببعض الكتاب وتكفروا ببعض، {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} (البقرة ٨٥) هذا لا يكون أبدًا من خلق المسلمين، وما فعل ذلك أمة من الأمم إلا واستبدلها الله وأتى بغيرها.

لذلك قال الله عز وجل {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ} (الماعون ٤) كيف يدع اليتيم وهو يصلي! ما هذه الأخلاق؟ عندما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم: امرأة تقوم الليل وتصوم النهار -الله أكبر- ولكنها

تؤذي جيرانها بلسانها، قال: (لا خير فيها، هي في النار) [٤] كيف؟ قال الله عز وجل: {إن الصلاة (العنكبوت ٤٥) أي الحقيقية {تنهى} (العنكبوت ٤٥) تنهى الإنسان خارج المسجد {تنهى عن الفحشاء والمنكر} (العنكبوت ٤٥) الفحشاء والمنكر ليسوا في المسجد، الفحشاء والمنكر خارج المسجد، لقد صلى في المسجد واصطحب صلاته معه إلى خارج المسجد.. فتعامل بأخلاق الدين في كل شيء، في السياسة يسأل عن الحلال والحرام.. في الاقتصاد... في المعاملات المالية... في معاملات الإرث... في كل شيء في حياة الناس يسأل ما هو الحلال والحرام؟ يريد أن يفتتح متجرًا يسأل هذا حلال أم حرام؟ يريد أن يقترض مالًا يسأل حلال أم حرام؟ يريد أن يشتري سلعة.. يريد أن يقسم المال بطريقة معينة... يسأل هذا حلال أم حرام؟

هذا الرجل اصطحب صلاته معه خارج المسجد، لكن هناك من يصلي ثم يسهى عن هذه الصلاة.. يسهى عن موعدها... عن مقاصدها... عما قرأ فيها... عما تفعله هذه الصلاة في قلبه... يسهى عن ذلك، إن الصلاة الحقيقية.. {إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر} (العنكبوت ٤٥)، إذا خرج إلى خارج المسجد يقول: لا هذا لا يجوز... نحن نقرأ في القرآن كذا وكذا، لكن فكر العلمانية الذي يسيطر على العالم الآن يقول لك: افعل ما تشاء في المسجد، لكن خارج المسجد لا تتعامل بالدين... ما دخل الدين بالسياسة؟ ما دخل الدين بالاقتصاد؟ ما دخل الدين بالمعاملات المالية؟ الله أكبر!!!

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الاسراء ٩) في كل شيء.. في كل شيء.. وما تخلفت هذه الأمة إلا لأنها فصلت الدين عن كل شيء وجعلت الدين شعائر وطقوسًا، فتجد حالات ازدواجية في المجتمع، تجد حالة من الازدواج العجيب، قد تجد الأم في قمة الحجاب وتجد ابنتها متبرجة والأم لا تبالي، القضية ليست أن الأم غير قادرة على أن تكلم البنت.. الأم لا تبالي، تجد الأب يجلس في المسجد يقرأ القرآن ويترك الأولاد يشاهدون ما يشاؤون في المنزل والأب لا يبالي، هذه هي المصيبة، هذه الازدواجية العجيبة، تجد في وسط مسلسل يشاهد مليء بالفجور والفاحشة يشاهده ناس وفي وسط المسلسل يرفع الأذان! هذا الأذان الذي فيه (الله أكبر).. أي أنك تعظم الله.. هذا التطبيع بين الطاعة والمعصية هذه مصيبة! القضية ليست أن الإنسان يفعل معصية ويتوب.. هذا حالنا جميعًا.. كل بني آدم خطاء.. المصيبة أنه يفعل المعصية بجوار الطاعة ويشعر بلا مبالاة! لا يوجد مشكلة! ما المشكلة؟! هو لا يشعر بنفس لوامة تلومه، أصبح الإنسان وهو صائم –ويقدر الله عز وجل أن الفترة التي نحن فيها رمضان يأتي في الصيف– أصبح في الصيام شيئًا عاديًا أن يذهب يقضي غالب رمضان في المصيف فيرتكب محرمات

[٤] (عن ابي هريرة) قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله! ان فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل، وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فيها، هي من اهل النار. قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة، وتصدق بأثوار، ولا تؤذي أحد؟ فقال رسول الله: هي من اهل الجنة
الالباني (ت ١٤٣٠) صحيح الادب المفرد ٨٨، صحيح

ولا يصلي! ليست القضية أنه ذهب لمكان هادئ بعيدًا عن الناس.. أبدًا.. أصبح يرتكب المحرمات! هذا التداخل العجيب بين الطاعة والمعصية يأباه الدين، لما جاءت أُمنا عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم وسألته عن أحد المشركين بالجاهلية –مطعم بن عدي– وقالت يا رسول الله كان يطعم المسكين –كانت أخلاقه حسنة– هل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يا عائشة إنه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين) [٥]

أخلاق بدون عبادات لا تنفع، عبادات بدون أخلاق لا تنفع، الدين متكامل، قال الله عز وجل: {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} (الماعون ٤-٥).

إذًا، لقد دَعّ اليتيم ودفع اليتيم وعامل اليتيم "كالبهائم" أعزكم الله، لأنه غافل عن صلاته، إذا جاء إلى الصلاة صلى وهو ساهٍ، لا يدري كم صلى، لا يفكر فيما يقوله في صلاته، لا يفكر في معاني الصلاة، كالذي يشاهد أفلامًا معينة أو مسلسلات معينة مليئة بالمحرمات وفي وسط هذا يُرفع الأذان فيردد الأذان، هذا عجيب! يردد حينما يسمع حي على الصلاة يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ويجلس مكانه لا يقوم ليصلي! يقول الله أكبر ولا يقوم، يقول أشهد أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو رآك رسول الله صلي الله عليه وسلم هل سيرضى بفعلك؟! تشهد أنه رسول الله وتشهد أنه بلّغ، وتشهد أنك أصبحت مسلمًا بتوفيق من الله وبجهد النبي صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بعد ذلك لا تقوم؟! هذا التداخل العجيب الذي أصبح في مجتمعاتنا المسلمة الآن، لا بد أن يعود المجتمع مرة أخرى، لابد من صحوة تعود في المجتمع مرة أخرى... لابد أن نعود لقراءة القرآن وتطبيق هذا في حياتنا، وفكرة ما دخل الدين في كذا؟! فكرة خبيثة تنتشر في المجتمعات المسلمة ، نعم، لابد أن يدخل الدين في جميع نواحي الحياة وأن يضع قواعد عامة.

من رحمة الله عز وجل –وهذه قاعدة هامة– أنه جعل الأمور المتغيرة على مدار الزمان وضع الدين لها قواعد عامة، لم يضع قواعد تفصيلية صغيرة، أما الأمور التي لا تتغير على مدار الزمان مثل المعاملات الاجتماعية؛ فالإنسان هو الإنسان، البشر هم البشر، يحب أشياء ويبغض أشياء، المعاملات الاجتماعية جاء تفصيل فيها في القرآن، الأشياء التي لا تتغير على مدار الزمان كالصدق وحرمة الكذب وإطعام المسكين؛ هذه أخلاق لا تتغير، فجاءت مفصلة في القرآن. الأشياء التي تتغير– فقد يأتي شخص ويقول: كيف يصلح القرآن لكل زمان ومكان وهو قد نزل من سنين طويلة؟!– نعم، يصلح لكل زمان ومكان، لأن القرآن في المعاملات وضع قواعد عامة في المعاملات المالية، قواعد عامة في المعاملات السياسية، هذه القواعد لا بد وأن تكون فوق أي قانون أرضي، فوق الدستور، فوق أي شيء، فإذا قال

[٥] (عن عائشة ام المؤمنين) قلت: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذلك ينفعه؟ قال: لا ينفعه، انه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين.
مسلم (ت ٢٦١) صحيح مسلم ٢١٤، صحيح، اخرجه مسلم (٢١٤)

الشرع أن المعاملات المالية –الربا والميسِر والغَرر– حرام، هذه تكون فوق أي معاملة اقتصادية، فإذا جاءت معاملة اقتصادية –بنك مثلًا– نعرضه على الشرع، فإذا قال الشرع: هذا لا يصلح، إذًا فهذا لا يصلح، ويتم تغيير هذا النظام بما يناسب القواعد الشرعية.

هكذا يدخل الدين في كل جوانب الحياة، إذا كانت هذه وظيفة دولة، فأنت عليك وظيفة في بيتك، أنت عليك وظيفة أن تطهر بيتك من الحرام، أن تربي أولادك على شرع الله عز وجل، أن تحاول قدر المستطاع لأنك سوف تُسأل!!!

قال نبينا صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[٦] كما أن الرئيس سيُسأل عن دولة، أنت ستُسأل عن بيتك، أنت ستُسأل في سلطانك، سوف تُسأل عن ذلك. الكل سوف يُسأل، لأن يوم الدين –أي يوم الجزاء كأنه دَيْن– كل ما تفعله كأنه دَين ستُسأل عنه يوم القيامة، إما أن تأخذ حسنات، أو –والعياذ بالله– تُجازى بالسيئات.

فقال الله تعالى: {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} (الماعون ٤–٧)، قال سبحانه وتعالى: {إِنَّ هذا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الاسراء ٩)، نعود إلى القرآن فنُفاجأ أن المجتمعات ابتعدت عن القرآن، فنطبق القرآن مرة أخرى فينصلح المجتمع، فتطول الفترة فيبتعد الناس فنعود إلى القرآن هكذا دائما أبدًا، لابد كل فترة أن نعود إلى القرآن ونُقيّم أنفسنا، هل نحن نسير على مُراد الله؟

إن الله عز وجل أنزل القرآن وحفظه من التبديل والتغيير {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر ٩).. حتى لا نتحاكم إلى عقول بشرية أو أفكار تتغير مع الزمان، حَفظ الله القرآن، وأنزل فيه القواعد العامة التي تُصلح البشرية، فحينما نعود إليها ونطبق ذلك يُمَكّن الله عز وجل لأهل هذا الدين، وطالما أننا بعيدون عن تطبيق شرع الله، سنظل بعيدين عن التمكين.

قال الله عز وجل في السورة التي معنا –سورة الماعون–: {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} (الماعون ٤–٥) ساهون عن وقتها، عن معانيها، عن مقاصدها، عن الخشوع فيها، كل هذا قاله أهل العلم في معنى ساهون، وساهون عما تأمرهم به الصلاة، هو يسمع في المسجد، يسمع تذكيرًا في المسجد، يسمع آيات ثم يخرج خارج المسجد ينسى، هذا هو السهو عن معاني الصلاة، لإن {الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} (العنكبوت ٤٥)، فإذا حدث انفصال في حياة الإنسان بين حياة

[٦] (عن عبد الله بن عمر) كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الامام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في اهله وهو مسؤول عن رعيته، والمراءة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته قال: وحسبت ان قد قال- والرجل راع في مال ابيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته
البخاري (ت ٢٥٦) صحيح البخاري ٨٩٣ (صحيح)

الطاعة في المسجد وبين حياته خارج المسجد فهذه هي "العلمانية" في أبسط توضيحٍ لها. وكما قلت هذه الفكرة الخبيثة التي تغزو كل المجتمعات الآن؛ هي أن تفعل ما تشاء في المسجد من الطقوس والطاعة، ثم في خارج المسجد تفعل ما تشاء.. وإذا رأيت إنسانًا يفعل معصية في خارج المسجد فتقول له: اتق الله، يقول لك: "ليس لك شأن بهذا! الدين في المسجد!" هذا من الأفكار الخبيثة، تخيل لو أنك تسير في الشارع ووجدت إنسانًا يُلقي القمامة على الأرض، فقلت "هذا ليس من شأني"، ثم أتى شخص آخر وألقى بالقمامة على الأرض فقلت أنت "هذا ليس من شأني" فالنتيجة الطبيعية أن أنظف مكان سيتحول إلى مجمع قمامة!!!

هكذا لو طبقنا نفس الطريقة على الدين؛ طبقنا أن الحياة خارج المسجد حسب هوى الناس، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو تطبيق لآيات القرآن خارج المسجد، أن تتخلق بهذه الأخلاق خارج المسجد هو التطبيق العملي للصلاة، كان النبي صلى الله عليه وسلم قرآنًا –ليس في المسجد فحسب– بل قرآنًا يمشي.. يتحرك {أومن كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا} (الانعام ١٢٢) –ليس للجلوس به في المسجد– ولكن {وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس} (الانعام ١٢٢) يذهب إلى عمله ومعه هذا النور، يذهب إلى السوق ومعه هذا النور، لا يترك النور في المسجد، يتعامل بأخلاق هذا النور في السوق وفي العمل وفي البيت وفي كل مكان.

لما نزلت {ويل للمطففين} (المطففين ١) يُروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها في السوق ولم يقرأها في المسجد،[٧] لأن هذه آيات التعامل في السوق، فقرأها في السوق، كان ينشر القرآن بين الناس، كان قرآنًا يمشي على الأرض صلى الله عليه وسلم.

إذًا، التطبيق العملي للقرآن ليس بجعله آيات داخل المسجد فقط، ليس بأن نضعه في صندوق من القطيفة ويوضع في المسجد وننظفه، أو يوضع في السيارة ولا يخرج منها، أو يُقرأ على الموتى، بل جاء {لينذر من كان حيًّا} (يس ٧٠)، للأحياء.. ليحيوا به في الدنيا ويسيروا بالقرآن بين الناس، هذا هو التطبيق العملي للقرآن.

فقال الله عز وجل: {فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون} (٤-٥)، ثم بعد فترة الإنسان حين يصلي وأخلاقه غير الصلاة يؤدي ذلك إلى حدوث تضارب! فإما أن يترك الصلاة أو يحافظ على الصلاة رياءً، لأنه يقرأ آيات في الصلاة يخالفها في حياته، فقال الله عز وجل: {فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراءون} (٤-٦) لأن أخلاقه خارج المسجد خلاف داخل المسجد فأصبح يصلي فقط أمام الناس.. {الذين هم يراءون} (الماعون ٥)، ثم يبلغ من رياءه أنه حتى لا يستطيع أن يُرائي بالمال! هو يُرائي في العبادات فيأتي للصلاة ويصلي كي لا يقول عنه الناس أنه لا

[٧] لم أجد لها اصلا

يصلي، وعندما يأتي للفقير يطلب منه شيئًا يمنع الماعون... الماعون أبسط الأشياء التي يُستعان بها من أغراض المنزل، مثل: القِدر، الكوب. وقديمًا كانوا يطلبون أشياء لإشعال النار؛ أبسط الأشياء مثل قليل من الماء، هذه الأشياء يمنعها! جاره الفقير ممكن أن يطلب منه أتفه الأشياء بالنسبة إليه ولا يعطيه! لأنه لا يؤمن بالآخرة، هو لم يعد يشغل باله بقضية الدار الآخرة، فلماذا إذًا سيُحسن إلى الضعيف؟! تصبح هذه طريقة تفكيره.. يقول: "مالي ومال الناس.. مالي ومال الفقير؟! فليذهبوا بعيدًا عني"

أصبح يفكر بهذه الطريقة.. هو لا يفكر وهو يفعل ذلك -وهو يعطي الفقير- أنه ينقذ نفسه من جهنم، المفترض أن يفعل ذلك وهو يوقن أن هذا حق للفقير {وفي أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم} (المعارج ٢٤-٢٥)

فيصل إلى مرحلة أنه لا يستطيع حتى أن يرائي بالمال!

كل هذا حينما غابت الدار الآخرة من حساباته.

أحبتي في الله... كل هذا الإصلاح يبدأ بتذكر الدار الآخرة، حينما يوقن الإنسان أن كل فعل يفعله هو دَين سوف يدين يوم القيامة به، سوف يحاسب عليه، كل فعل، كل نظرة، كل كلمة تكلمت بها في غياب أخيك تُكتب... قد تكون من الكبائر.. غيبة، هذه المعاملات سيُحاسب عنها الناس، حتى أن الله عز وجل يأخذ حق الشاة الجلحاء من الشاة القرناء... أي حتى كبش أو شاة يضربون بعضهم البعض.. يوم القيامة بعد أن تموت وتكون ترابًا يحييها الله، لماذا؟! سبحان الله هذه القدرة العظيمة! يحيي الله الشاة والحيوانات ثم يأخذ حق هذه من تلك، ثم يقول لها: كوني ترابًا... الله أكبر! أحياها الله وأماتها، لماذا؟! ليقوم العدل، ليكون العدل يوم القيامة تامًا! دار الدنيا دار ابتلاء وليست دار جزاء...

الناس تتعجب كيف أن الظالم يدُعّ اليتيم ويموت بدون عقاب، لأن الدنيا دار ابتلاء، اكتمال الحلقة في الآخرة، المشهد الأخير سيكون في الآخرة وليس في الدنيا، فيقول الله عز وجل: {فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراءون * ويمنعون الماعون} (الماعون ٤-٧).

نسأل الله عز وجل أن نكون من أهل القرآن الذين يتخلقون بأخلاقه ويطبقونه في حياتهم، يقرؤونه ليل نهار، يتدبرونه، يجاهدون به، يجاهدون أنفسهم أن يتخلقوا بأخلاق القرآن، يربون أنفسهم على القرآن، يربون أولادهم وأسرهم وأهليهم على القرآن، يسيرون بالقرآن بين الناس.

اللهم اجعله لنا نورًا نطبقه في حياتنا ونمشي به في الناس. اللهم اجعلنا من الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر على الوجه الذي ترضاه.

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا.

اللهم استعملنا لنصرة دينك.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والأقوال والأفعال لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت. اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار... أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.. وأقم الصلاة.